سـورة المزمل

«مكية» وقال ابن عباس وقتادة: إلا آيتين منها: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[المزمل: ١٠] والتي تليها؛ ذكره الماوردي، وقال الثعلبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾[المزمل: ٢٠] إلى آخر السورة؛ فإنه نزل بالمدينة(١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ ﴾

فيه ثماني مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قال الأخفش سعيد: ﴿الْمُزَّمِّلُ﴾ أصله المتزمل؛ فأدغمت التاء في الزاي، وكذلك ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾، وقرأ أبي بن كعب على الأصل «المتزمل» و «المتدثر»(٢) وسعيد: «المزمل» وفي أصل: ﴿الْمُزَّمِّلُ﴾ قولان: أحدهما: أنه المحتمل؛ يقال: زمل الشيء: إذا حمله، ومنه الزاملة؛ لأنها تحمل القماش، الثاني: أن المزمل هو المتلفف؛ يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى، وزمل غيره إذا غطاه، وكل شيء لفف: فقد زمل ودثر؛ قال امرؤ القيس:

كبيرُ أناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ(٣)

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، وفيه ثلاثة أقوال: الأول: قول عكرمة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بالنبوة والملتزم للرسالة(٤)، وعنه أيضا: يا أيها الذي زمل هذا الأمر، أي: حمله ثم فتر(٥)، وكان يقرأ: «يا أيها المزمَّل» بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك: «المدثر» والمعنى: المزمل نفسه والمدثر نفسه، أو الذي زمله غيره، الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بالقرآن، قاله ابن عباس(٦)، الثالث المزمل بثيابه، قاله قتادة وغيره(٧)، قال النخعي: كان متزملا بقطيفة(٨)، عائشة: بمرط طوله أربعة عشرة ذراعا، نصفه علي وأنا نائمة، ونصفه على النبي

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٤).

(٢) هي قراءة غير متواترة: وإلا فهي تفسيرية وحسب انظر: البحر المحيط(٨/ ٣٦٠) لأبي حيان.

(٣) عجز بيت، وصدره: كأن ثبيراً في غرانينَ وبلهُ

(٤، ٥) حسن: الطبري (٢٩/ ١٣) في تفسيره.

(٦) حسن: ابن كثير (٨/ ١٩٦) من طريق شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس به، وشبيب صدوق يخطئ، ووثقه ابن معين.

(٧) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩/ ١٣١) في تفسيره.

(٨) مرسل: ابن كثير (٨/ ١٩٦) في تفسيره.

ﷺ وهو يصلي، والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزاء ولا إبريسمًا ولا صوفاً، كان سداه شعرًا، ولحمته وبرًا ، ذكره الثعلبي[١] .

قلت: وهذا القول من عائشة يدل على أن السورة مدنية؛ فإن النبي ﷺ لم يبن بها إلا في المدينة، وما ذكر من أنها مكية لا يصح، والله أعلم[٢] .

وقال الضحاك: تزمل بثيابه لمنامه[٣] ، وقيل: بلغه من المشركين سوء قول فيه، فاشتد عليه فتزمل في ثيابه وتدثر، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ،وقيل: كان هذا في ابتداء ما أوحى إليه، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه، أخذته الرعدة، فأتى أهله فقال: «زملوني دثروني» روي معناه عن ابن عباس[٤] ، وقالت الحكماء: إنما خاطبه بالمزمل والمدثر في أول الأمر؛ لأنه لم يكن بعد ادثر شيئا من تبليغ الرسالة، قال ابن العربي[٥] : واختلف في تأويل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ فمنهم من حمله على حقيقته، قيل له: يا من تلفف في ثيابه أو في قطيفته، قم؛ قاله إبراهيم وقتادة[٦] ، ومنهم من حمله على المجاز، كأنه قيل له: يا من تزمل بالنبوة؛ قاله عكرمة[٧] ، وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل.

قلت: وقد بينا أنها على حذف المفعول، وقد قرئ بها، فهي صحيحة المعنى، قال: وأما من قال: إنه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز، لكن قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه.

الثالثة : قال السهيلي: ليس المزمل باسم من أسماء النبي ﷺ ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدوه في أسمائه عليه الصلاة والسلام، وإنما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدثر، وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان: إحداهما: الملاطفة؛ فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها؛ كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنهما، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له: «قم يا أبا تراب»[٨] إشعارا له أنه غير عاتب عليه، وملاطفة له، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة: «قم يا نومان»[٩] وكان نائما ملاطفة له،وإشعارا لترك العتب والتأنيب، فقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ﴾ فيه تأنيس وملاطفة؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه،والفائدة الثانية:

(١، ٢) كلام غير صحيح : ومرعزاء: بكسر الميم والعين هو : الزغب تحت شعر العنز ،والسورة مجمع على أنها مكية، ورواه الهيثمي بنحوه (٧/ ١٣٠) في المجمع وفيه: معلى بن عبد الرحمن المالكي الواسطي وهو كذاب .

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٦) .

(٤) سيأتي تخريجه بعد قليل .

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٨٧١) لابن العربي المالكي .

(٦) مرسل: وقد سبق .

(٧) حسن : وقد سبق .

(٨) متفق عليه : البخاري (٣٧٠٣) في فضائل الصحابة ، ومسلم (٢٤٠٩/ ٣٨) في فضائل الصحابة ، عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه .

(٩) صحيح : مسلم (١٧٨٨/ ٩٩) في الجهاد والسير، عن حذيفة ـ رضي الله عنه .

التنبيه لكل مـتزمل راقد ليله ليتنبه إلى قـيام الليل وذكر الله تعالى فيـه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة.

الرابعة : قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لالتقـاء الساكنين، وقرأ أبو السمال بضم الميم اتباعا لضمـة القاف، وحكى الفتح لخفته، قـال عثمان بن جني: الغرض بهذه الحـركة التبلغ بها هربا من العقـاء الساكنين، فبـأي حركة تحركت، فـقد وقع الغرض، وهو من الأفـعال القاصرة غـير المتعـدية إلى مفعـول، فأما ظرف الزمـان والمكان فسائغ فـيه، إلا أن ظرف المكان لا يتعـدى إليه إلا بواسطة؛ لا تقول: قمت الدار حتى تقـول: قمت وسط الدار وخارج الدار، وقد قيل: إن ﴿قُمِ﴾ هنا معناه صل؛ عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال.

الخامسة : ﴿اللَّيْلَ﴾ حد الليل: من غروب الشـمس إلى طلوع الفجر، وقد تقـدم بيانه في سورة «البقرة»، واختلف: هل كان قيامه فرضا وحتـما، أو كان ندبا وحضا؟ والدلائل تقوي أن قيامه كان حـتـما وفـرضـا؛ وذلك أن الندب والحض لا يـقع على بعض الليل دون بعض؛ لأن قـيـامـه ليس مخـصوصا به وقـتا دون وقت، وأيضا فـقد جاء التـوقيت بذلك عن عائـشة وغيـرها على ما يأتي، واختلف أيضـا: هل كان فرضا على النبي ﷺ وحـده، أو عليه وعلى من كان قبله مـن الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقـوال: الأول: قول سعيد بن جبير لتوجـه الخطاب إليه خاصة [١]. الثاني: قول ابن عبـاس، قال: كان قيـام الليل فريضة على النبي ﷺ وعلى الأنبـياء قبله [٢]، الثالث: قول عائشة وابن عبـاس أيضا وهو الصحيح؛ كما في صحيح مـسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبـيل الله،، الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئـيني عن قيام رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قلت: بلى! قالت فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فـقام ﷺ وأصـحابه حولا، وأمـسك الله عز وجل خـاتمتها اثني عـشر شـهرا في السـماء، حتـى أنزل الله عز وجل في آخـر هذه السورة التـخفـيف، فصـار قيـام الليل تطوعا بـعد فريضة[٣]، وذكر الحديث، وذكر وكـيع ويعلى قالا: حدثنا مسعر عن سمـاك الحنفي، قال: سمعت ابن عباس يقول لما أنزل أول: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ كانوا يقومـون نحوا من قيامهم في شهـر رمضان حتى نزل آخرها، وكـان بين أولها وآخرهـا نحو من سنة [٤]، وقال سـعيـد بن جبيـر: مكث النبي ﷺ وأصحابه عـشر سنين يقومون الليل، فنزل بعـد عشر سنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠] فخفف الله عنهم [٥].

السادسة : قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من الليل، أي صل الليل كله إلا يسيرا منه؛ لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن، فاسـتثنى منه القليل لراحة الجسد، والقليل من الشيء ما دون النصف؛

(١، ٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٧).

(٣) صحيح : قطعة من حديث طويل رواه مسلم (٧٤٦/ ١٣٩) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) فيه اضطراب : ففي رواية سماك عن عكرمة من إرسال ابن عباس ضعف وهي عند الطبري (٢٩/ ١٣٣) في تفسيره

(٥) مرسل من حديث سعيد : وهو إليه ضعيف : الطبري (٢٩/ ١٣٣).

فحكي عن وهب بن منبه أنه قال: القليل ما دون المعشار والسدس [١]، وقال الكلبي ومقاتل: الثلث [٢]، ثم قال تعالى: ﴿نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال الأخفش ﴿نِّصْفَهُ﴾ أي: أو نصفه؛ يقال: أعطه درهما درهمين ثلاثة: يريد: أو درهمين أو ثلاثة، وقال الزجاج: ﴿نِّصْفَهُ﴾ بدل من الليل و﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ استثناء من النصف، والضمير في ﴿مِنْهُ﴾ و﴿عَلَيْهِ﴾ للنصف، المعنى: قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين؛ فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه، وقيل: إن ﴿نِّصْفَهُ﴾ بدل من قوله: ﴿قَلِيلاً﴾ وكان مخيرا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه؛ كأن تقدير الكلام: قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه، أو أكثر من نصفه، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر» [٣]، ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا [٤] وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى شطر الليل - أو ثلثاه - ينزل الله،» الحديث، رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك[٥]، وقد جاء في كتاب النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول، ثم يأمر مناديا يقول: هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطى؟» [٦] صححه أبو محمد عبد الحق؛ فبين هذا الحديث مع صحته معنى النزول، وأن ذلك يكون عند نصف الليل، خرج ابن ماجه من حديث ابن شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة فيقول: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفرني فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر» [٧]، فكانوا يستحبون صلاة آخر الليل على أوله، قال علماؤنا: وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن، فإنهما يبصران من مشكاة واحدة، وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس: بت عند خالتي ميمونة حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل، استيقظ رسول الله ﷺ، فقام إلى شن [٨] معلق فتوضأ وضوءا خفيفا، وذكر الحديث [٩].

السابعة: اختلف العلماء في الناسخ للأمر بقيام الليل؛ فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للأمر بقيام الليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠] إلى آخر السورة، وقيل:

(١، ٢) سيأتى تخريجهما.

(٣) **صحيح**: البخاري (١١٤٥) في التهجد، ومسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين.

(٤، ٥) **صحيح**: مسلم (٧٥٨) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٦) **صحيح**: النسائي (١٠٣١٦) في الكبرى، وأحمد (٢/ ٣٨٣).

(٧) صحيح: ابن ماجه (١٣٦٦) فى إقامة الصلاة، وصححه الألباني هناك.

(٨) متفق عليه: الشَّنُّ: كل آنية صنعت من جلد وهي بالية. اللسان «شنن».

(٩) متفق عليه: وقد سبق.

قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وعن ابن عباس أيضا: هو منسوخ بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: ٢٠]، وعن عائشة أيضا والشافعي ومقاتل وابن كيسان: هو منسوخ بالصلوات الخمس، وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، قال أبو عبدالرحمن السلمي: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قاموا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

قال بعض العلماء: وهو فرض نسخ به فرض، كان على النبي ﷺ خاصة لفضله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

قلت: القول الأول يعم جميع هذه الأقوال، وقد قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠] فدخل فيها قول من قال: إن الناسخ الصلوات الخمس، وقد ذهب الحسن وابن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة [١]، وعن الحسن أيضا أنه قال في هذه الآية: الحمد لله ،تطوع بعد الفريضة [٢]، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى؛ لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أجعل للنبي ﷺ حصيرا يصلي عليه من الليل، فتسامع الناس به، فلما رأى جماعتهم كره ذلك، وخشي أن يكتب عليهم قيام الليل، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويتفلون، فخرج إليهم فقال: « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل من الثواب، حتى تملوا من العمل، وإن خير العمل أدومه وإن قل»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ فكتب عليهم، فأنزل بمنزلة الفريضة، حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به، فمكثوا ثمانية أشهر، فرحمهم الله وأنزل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٢٠] فردهم الله إلى الفريضة، ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا [٣].

قلت: حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله: «وإن قل» [٤] وباقيه يدل على أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ نزل بالمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر يقومون، وقد تقدم عنها في صحيح مسلم: حولا [٥]،وحكى الماوردي [٦]عنها قولا ثالثاً، وهو ستة عشر شهرًا، لم يذكر غيره عنها، وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أول المزمل وآخرها سنة؛ قال: فأما رسول الله ﷺ فقد كان فرضا عليه [٧]، وفي نسخة عنه قولان: أحدهما: أنه كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى، الثاني: أنه نُسخ عنه كما نُسخ عن أمته، وفي مدة فرضه إلى أن نُسخ قولان: أحدهما: المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين، يريد قول ابن عباس حولا، وقول عائشة ستة عشر شهرا،

---

(١) كذا في مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ٧٢) ،وشعب الإيمان (٣/ ١٦٢)،للبيهقي ـ رحمه الله .

(٢) ذكره الطبري (٢٩/ ١٣٣) في تفسيره .

(٣) هذا باطل : ورواه الطبري (٢٩/ ١٣٢) بسند فيه موسى بن عبيدة الأشوري وهو ضعيف جدًا ولا يصح منه إلا التالي ،وقوله: « عليكم من الأعمال ما تطيقون» متفق عليه كما في صحيح البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٥) .

(٤) صحيح : وانظر: الترمذي (٢٨٥٦) في الأدب،وله أصل فى الصحيح .

(٥) صحيح : وقد سبق .

(٦) شاذ : الماوردي (٦/ ١٢٥) في تفسيره .

(٧) سبق تخريجه بسند ضعيف .

الثاني: أنها عشـر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف، ليميزه بفـعل الرسالة؛ قاله ابن جبير(١).

قلت: هذا خلاف ما ذكـره الثعلبي عن سعيـد بن جبير حسب مـا تقدم فتأمله، وسـيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى.

الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أي: لا تعجل بقراءة القرآن، بـل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني، وقال الضحاك(٢): اقرأه حرفا حرفا، وقال مجاهد (٣): أحب الناس في القراءة إلى الله أعـقلهم عنه، والتـرتيل: التنضيـد والتنسـيق وحسن النظام؛ ومنـه ثغر رَتِل ورَتَل، بكسـر العين وفتحـها: إذا كان حسن التنضـيد، وتقدم بيانه في مـقدمة الكتاب، وروى الحـسن، أن النبي ﷺ مر برجل يقرأ آيـة ويبكي، فقال: «ألم تسـمعـوا إلى قـول الله عـز وجـل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ هذا الترتيل» (٤)، وسمع علقمة رجلا يقرأ قراءة حـسنة فقال: لقد رتل القرآن، فداه أبي وأمي، وقال أبو بكر بن طاهر: تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامـه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبـال عليه، وروى عبـد الله بن عمرو، قـال: قال النبي ﷺ: «يؤتى بقـارئ القرآن يوم القيـامة، فيـوقف في أول درج الجنة، ويقال له: اقرأ وارتق ورتل كـما كنت ترتل في الدنيـا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» خرجه أبو داود (٥)، وقد تقدم في أول الكتاب، وروى أنس أن النبي ﷺ كان يمد صوته بالقراءة مدًا (٦).

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ هو متصل بما فـرض من قيام الليل، أي: سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقـيلا يثقل حمله؛ لأن الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكـثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان، فـهو أمر يثقل على العبد، وقيل: إنا سنوحي إليك القرآن، وهو قول ثقيل يثـقل العمل بشرائعه، قال قتادة: ثقـيل والله فرائضه وحدوده (٧)، مجاهد: حلاله وحرامه (٨). الحسن: العمل به (٩). أبو العالية: ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام (١٠)، محمد بن كعب: ثقيلا على المنافقين (١١)، وقيل: على الكفار؛ لما فيه من الاحتجاج عليهم، والبيان

---

(١) انظر السابق.
(٢، ٣) الطبري بنحوه (٢٩/ ١٣٤) في تفسيره.
(٤) مرسل وهو ضعيف: ورواه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٦) مرسلاً عن الحسن في مصنفه.
(٥) صحيح: وصححه الألباني (٨١٢٢) في صحيح الجامع.
(٦) صحيح: البخاري (٥٠٤٥، ٥٠٤٦) في فضائل القرآن.
(٧) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩/ ١٣٥) في تفسيره.
(٨) صحيح إلى مجاهد: .
(٩) صحيح إلى الحسن: الطبري (٢٩/ ١٣٤) في تفسيره.
(١٠، ١١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٧).

لضلالتهم وسب آلهتهم، والكشف عما حـرفه أهل الكتاب، السدي: ثقيل بمعنى: كريم [١]؛ مأخوذ من قولهم: فلان ثقـيل علي، أي: كريم علي، الفراء: ﴿ ثَقِيلاً﴾ رزينا ليس بالخفيف السـفساف؛ لأنه كلام ربنا، وقال الحسين بن الفضل: ثقيلا لا يحمله إلا قلـب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد، وقـال ابن زيد: هو والله ثقـيل مبـارك، كـما ثقل فـي الدنيا يثـقل في الميـزان يوم القـيامـة [٢] ، وقيل: ﴿ثَقِيلاً﴾ أي: ثابتا كثبوت الثقيل في مـحله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز، لا يزول إعجازه أبدا، وقيل: هو القرآن نـفسه؛ كما جـاء في الخبر: أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليـه وهو على ناقته وضعت جرانها - يعني: صدرها - على الأرض، فمـا تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه [٣]، وفي الموطأ وغيره أنه عليه الصـلاة والسلام سئل: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحـيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فـيفصم عني وقد وعيت مـا قال، وأحيانا يتمثل لـي الملك رجلا فيكلمني فأعي مـا يقول» [٤]، قالت عـائشة رضي الله عنها: ولقـد رأيته ينزل عليه الوحي في اليـوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا [٥].

قال ابن العربي: وهذا أولى؛ لأنه الحقـيقة، وقد جاء: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال عليه السلام: « بعثت بالحنيـفية السمحة» [٦]،وقيل: القول في هذه السورة هو قول: لا إله إلا الله؛ إذ في الخبر: خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان؛ ذكره القشيري،

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝

فيه خمس مسائل :

الأولى : قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال العلماء: ناشئة الليل أي: أوقاته وساعاته، لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا؛ يقال: نشأ الشيء ينشأ: إذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شيء، فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ، ومنه نشأت السحـابة: إذا بدت وأنشأها الله؛ فناشئة: فـاعلة من نشأت تنشأ فهي ناشـئة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] والمراد: أن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم، فالتأنيث للفظ ساعة، لأن كل ساعة تحدث، وقيل: الناشئة مصدر بمعنى «قيام الليل» كالخاطئة والكاذبة؛ أي: إن نشأة الليل هي أشـد وطئا، وقيل: إن ناشئة الليل قيام الليل، قال ابن مسعود [٧]: الحبشة يقـولون: نشأ أي: قام، فلعله أراد أن الكلمة عربية، ولكـنها شائعة في

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٦/ ١٢٧) . (٢) صحيح إليه : الطبري (٢٩/ ١٣٥) في تفسيره .

(٣) صحيح : الهيثـمي (٨/ ٢٥٧) في المجمع وعزاه لأحمد ، وقال :«رواه أحمد ورجـاله رجال الصحيح »، وكذا صحـحه الحاكم (٣٨٦٥) ، عن عائشـة ـ رضي الله عنها ـ والجران : باطن العـنق ، فإذا ما برك البعـير على الأرض ومدَّ عنقه قيل : ضرب بجرانه اللسـان « جرن ».

(٤، ٥) متفق عليه : البخاري (٢) في بدء الوحي ، ومسلم (٢٣٣٣) في الفضائل ، عن عائشة ـ رضي الله عنها .

(٦) حسن : أحمد (٥/ ٢٦٦) في المسند ، عن أبي أمامة ـ رضى الله عنه ـ وله شواهد وقد سبقت .

(٧) ذكر ابن كثير ـ رحمـه الله ـ هذا القول وما بعده في تفسيره ثم عاد ، فقال : هي سـاعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة، والغـرض أن ناشئته وهي الآنات ، والمقصود أن قيام اللـيل هو أشد مواطأة بين القلب واللسـان ، وأجمع على التلاوة ، ولهذا قال تعالى :﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝ ﴾ أى أجمـع للخاطر فى أداء القـراءة=

كلام الحبشة، غالبة عليهم، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب، وقد تقدم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى.

الثانية: بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن، أعظم للأجر، وأجلب للثواب،

واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل؛ فقال ابن عمر وأنس بن مالك [١]: هو ما بين المغرب والعشاء، تمسكا بأن لفظ نشأ يعطي الابتداء، فكان بالأولية أحق؛ ومنه قول الشاعر:

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نُصَيبٌ لَقلتُ بِنفسِيَ النَّشَأ الصِّغارُ

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: هذا ناشئة الليل [٢]، وقال عطاء وعكرمة: إنه بدء الليل [٣]، وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما [٤]: هي الليل كله؛ لأنه ينشأ بعد النهار، وهو الذي اختاره مالك بن أنس، قال ابن العربي: وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة، وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد: إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم، ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة، وقال يمان وابن كيسان: هو القيام من آخر الليل [٥]، وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل، وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ [٦]، وفي الصحاح: وناشئة الليل أولُ ساعاته، وقال القتبي: إنه ساعات الليل؛ لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، وعن الحسن ومجاهد[٧]: هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح، وعن الحسن أيضا [٨]: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، ويقال: ما ينشأ في الليل من الطاعات؛ حكاه الجوهري،

الثالثة: قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن أبي إسحاق ومجاهد وحميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وأبو حيوة «وِطَآءً» بكسر الواو وفتح [٩] الطاء والمد، واختاره أبو عبيد، الباقون: ﴿وَطْئًا﴾ بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم؛ من قولك: اشتدت على القوم وطأة سلطانهم، أي: ثقل عليهم ما حملهم من المؤن، ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر» [١٠] فالمعنى أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار، وذلك أن الليل وقت منام

= وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقت انتشار الناس ونعط الأصوات وأوقات المعاش (أ. هـ) تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٨) .

قلت: والقلب إلى هذا القول من غيره أميل لكونه جمع المعانى كلها والحمد لله رب العالمين .

ومثل هذا ورواه الطبري (٢٩/ ١٣٤) في تفسيره .

(١ ـ ٨) ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ هذه الأقوال كلها في تفسيره ثم عاد ، فقال : هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة ، والغرض أن ناشئة وهي الآنات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان ، وأجمع على التلاوة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش . ا . هـ تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٨) .

قلت: والقلب إلى هذا القول من غيره أميل لكونه جمع المعانى كلها والحمد لله رب العالمين .

قلت: ومثل هذا في صحيح كما رواه الطبري (٢٩/ ١٣٤) في تفسيره .

(٩) قراءة سبعية متواترة : كما في تقريب النشر (ص١٨٤) .

(١٠) متفق عليه : قطعة من حديث البخاري (٨٠٤) فى الأذان، ومسلم (٦٧٥/ ٢٩٤) في المساجد ومواضع الصلاة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

وتودع وإجمام، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة، ومن مد فهو مصدر: واطأت وطاء ومواطأة أي: وافقته. ابن زيد: واطأته على الأمر مواطأة: إذا وافقته من الوفاق، وفلان يواطئ اسمه اسمي، وتواطؤوا عليه أي: توافقوا؛ فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان؛ لانقطاع الأصوات والحركات؛ قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما، وقال ابن عباس بمعناه [١]، أي: يواطئ السمع القلب؛ قال الله تعالى: ﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧] أي: ليوافقوا، وقيل: المعنى أشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر، والوطاء خلاف الغطاء، وقيل: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ بسكون الطاء وفتح الواو أي: أشد ثباتا من النهار؛ فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله، فيكون ذلك أثبت للعمل وأتقى لما يلهي ويشغل القلب، والوطء الثبات، تقول: وطئت الأرض بقدمي، وقال الأخفش: أشد قياما، الفراء: أثبت قراءة وقياما، وعنه: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش، فعبادته تدوم ولا تنقطع، وقال الكلبي: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: أشد نشاطا للمصلي؛ لأنه في زمان راحته، وقال عبادة: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: نشاطا للمصلي وأخف، وأثبت للقراءة.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: القراءة بالليل أقوم منها بالنهار؛ أي: أشد استقامة واستمرارا على الصواب؛ لأن الأصوات هادئة، والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه، قال قتادة ومجاهد: أي: أصوب للقراءة وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم [٢]، وقال أبو علي: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أشد استقامة لفراغ البال بالليل، وقيل: أي: أعجل إجابة للدعاء، حكاه ابن شجرة، وقال عكرمة: عبادة الليل أتم نشاطا، وأتم إخلاصا، وأكثر بركة [٣]، وعن زيد بن أسلم: أجدر أن يتفقه في القرآن، وعن الأعمش قال: قرأ أنس بن مالك: «إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا» فقيل له: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ فقال: أقوم وأصوب وأهيأ: سواء [٤]، قال أبو بكر الأنباري: وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب، إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له، واحتجوا بقول أنس هذا، وهو قول لا يعرج عليه ولا يلتفت إلى قائله؛ لأنه لو قرأ بألفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها، لجاز أن يقرأ في موضع: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: الشكر للباري ملك المخلوقين، ويتسع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن، ويكون التالي له مفتريا على الله عز وجل، كاذبا

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٣٨) وهو مقطوع على مجاهد بسند صحيح.

(٢) صحيح إلى قتادة.

(٣) انظر: تعليق ابن كثير رحمه الله والذي ذكرناه قريباً.

(٤) منقطع وهو ضعيف: فالأعمش رأى أنسًا - رضي الله عنه ولم يسمع منه، وقد رواه الطبري (٢٩/ ١٣٨) من طريقين في أحدهما: عبد الحميد الحماني وهو ضعيف، ورواه أبو يعلى من الطريق الآخر للطبري، وذكره عنه ابن كثير (٨/ ١٩٨) في تفسيره، وقد صححه الهيثمي (٧/ ١٥٦) في المجمع ووثّق رجاله.

قلت: وهذه القراءة وإن صحّ سندها على انقطاع فيها إلاّ أنها محمولة على التفسير وإلا فهي قراءة شاذة بمخالفتها القراءة المتواترة.

على رسوله ﷺ ولا حجة لهم في قول ابن مسعود: نزل القرآن على سبعة أحرف [١]، إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل؛ لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي ﷺ إذا اختلفت ألفاظها، واتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في «هلم، وتعال، وأقبل»، فأما ما لم يقرأ به النبي ﷺ وأصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم، فإنه من أورد حرفا منه في القرآن بهت ومال وخرج من مذهب الصواب. قال أبو بكر: والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم؛ لأنه مبني على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل أن الأعمش رأى أنسا ولم يسمع منه [٢].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ قراءة العامة بالحاء غير معجمة؛ أي: تصرفا في حوائجك، وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا، والسبح: الجري والدوران، ومنه السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابح: شديد الجري؛ قال امرؤ القيس:

مِسَحٌّ إذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى أثَرْنَ الغُبارَ بِالكَدِيدِ المُرَكَّلِ

وقيل: السبح الفراغ؛ أي: إن لك فراغا للحاجات بالنهار، وقيل: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا﴾ أي: نوما، والتسبح التمدد؛ ذكره الخليل، وعن ابن عباس وعطاء: ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [٣] يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، وقال الزجاج: إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك.

وقرأ يحيى بن يعمر وأبو وائل: «سَبْخًا» بالخاء المعجمة، قال المهدوي: ومعناه النوم روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة، وقيل: معناه الخفة والسعة والاستراحة؛ ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد دعت على سارق ردائها: «لا تسبخي عنه بدعائك عليه» [٤]، أي: لا تخففي عنه إثمه؛ قال الشاعر:

فَسَبِّخْ عليك الْهَمَّ واعلم بِأَنَّهُ إذا قَدَّرَ الرحْمنُ شيئاً فَكَائِنُ

الأصمعي: يقال: سبخ الله عنك الحمى، أي: خففها، وسبخ الحر: فتر وخف، والتسبيخ: النوم الشديد، والتسبيخ أيضا: توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها؛ يقال للمرأة: سبخي قطنك، والسبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندف، أي: يلف لتغزله المرأة، والقطعة منه سبيخة، وكذلك من الصوف والوبر، ويقال لقطع القطن سبائخ؛ قال الأخطل يصف القناص والكلاب:

فأرسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرابَ كما يُذْرِي سَبَائِخَ قُطْنٍ نَدْفُ أَوْتَارِ

وقال ثعلب: السبخ بالخاء: التردد والاضطراب، والسبخ أيضا السكون؛ ومنه قول النبي ﷺ:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) منقطع وهو ضعيف: فالأعمش رأى أنسًا ـ رضي الله عنه ولم يسمع منه، وقد رواه الطبري (٢٩/ ١٣٨) من طريقين في أحدهما: عبد الحميد الحماني وهو ضعيف، ورواه أبو يعلى من الطريق الآخر للطبري، وذكره منه ابن كثير (٨/ ١٩٨) في تفسيره، وقد صححه الهيثمي (٧/ ١٥٦) في المجمع ووثقه رجاله.
قلت: وهذه القراءة وإن صحّ سندها على انقطاع فيها إلا أنها محولة على التفسير؛ وإلا فهي قراءة شاذة بمخالفتها القراءة المتواترة.

(٣) ضعيف إلى ابن عباس: فقد رواه الطبري (٢٩/ ١٣١) من طريق العوفيين، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٩٨).

(٤) ضعيف: أبو داود (١٤٩٧) في الصلاة، وضعفه الألباني هناك، عن عائشة ـ رضي الله عنها.

«الحمى من فيح جهنم، فسبخوها بالماء»[١] أي: سكنوها، وقال أبو عمرو: السبخ: النوم والفراغ.

قلت: فعلى هذا يكون من الأضداد وتكون بمعنى السبح، بالحاء غير المعجمة.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: ادعه بأسمائه الحسنى، ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة، وقيل: أي: اقصد بعملك وجه ربك، وقال سهل: اقرأ باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك عما سواه، وقيل: اذكر اسم ربك في وعده ووعيده، لتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته، وقال الكلبي: صل لربك أي: بالنهار.

قلت: وهذا حسن فإنه لما ذكر الليل ذكر النهار؛ إذ هو قسيمه؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢] على ما تقدم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ التبتل: الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل؛ أي: انقطع بعبادتك إليه، ولا تشرك به غيره، يقال: بتلت الشيء أي: قطعته، ومنه قولهم: طلقها بتة بتلة، وهذه صدقة بتة بتلة؛ أي: بائنة منقطعة عن صاحبها،؛ أي: قطع ملكه عنها بالكلية؛ ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى، ويقال للراهب متبتل؛ لانقطاعه عن الناس، وانفراده بالعبادة، قال:

تُضِيءُ الظَّلامَ بالعشَاءِ كأَنَّهَا مَنارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتِّلِ

وفي الحديث النهي عن التبتل[٢]، وهو الانقطاع عن الناس والجماعات، وقيل: إن أصله عند العرب التفرد؛ قاله ابن عرفة، والأول أقوى لما ذكرنا، ويقال: كيف قال: تبتيلا، ولم يقل تبتلا؟ قيل له: لأن معنى تبتل بتل نفسه، فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل،

الثالثة: قد مضى في المائدة في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية، قال ابن العربي: وأما اليوم وقد مرجت عهود الناس، وخفت أماناتهم، واستولى الحرام على الحطام، فالعزلة خير من الخلطة، والعزبة أفضل من التأهل، ولكن معنى الآية: انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله، وكذلك قال مجاهد[٣]: معناه: أخلص له العبادة، ولم يرد التبتل، فصار التبتل مأمورا به في القرآن، منهيا عنه في السنة، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي؛ فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم؛ فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] والتبتل المنهي عنه: هو سلوك مسلك النصارى في ترك النكاح

---

(١) متفق عليه: ولكن بلفظ «فأبردوها بالماء» ورواه البخاري (٣٢٦٤) في الجزية والموادعة، ومسلم (٢٢٠٩) في السلام، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: وقد سبق، وانظر: صحيح الجامع (٦٨٦٧) وأصله في الصحيحين.

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٩/ ١٤٠) في تفسيره.

والترهيب في الصوامع، لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن.

﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ قرأ أهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وأبو عمرو وابن أبي إسحاق وحفص: ﴿رَبُّ﴾ بالرفع على الابتداء والخبر ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، وقيل: على إضمار: ﴿هُوَ﴾، الباقون: « رَبِّ » بالخفض [1] على نعت الرب تعالى في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ ومن علم أنه رب المشارق والمغارب انقطع بعمله وأمله إليه، ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ أي: قائما بأمورك، وقيل: كفيلا بما وعدك.

قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم، ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ أي: لا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك؛ قاله قتادة وغيره، وقال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم.

قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ أي: أرض بي لعقابهم، نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين [2]، وقال مقاتل: نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة، وقد تقدم ذكرهم في «الأنفال»[3]، وقال يحيى بن سلام: إنهم بنو المغيرة، وقال سعيد بن جبير: أخبرت أنهم اثنا عشر رجلا، ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أي: أولي الغنى والترفه واللذة في الدنيا: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ يعني إلى مدة آجالهم، قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر[4]، وقيل ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾ يعني إلى مدة الدنيا.

﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا﴾ الأنكال: القيود، عن الحسن ومجاهد وغيرهما [5]،

---

(١) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠١).

(٣) عند الآية (٧٠).

(٤) ضعيف: رواه الطبري (٢٩/ ١٤٢) في تفسيره، من طريق ابن إسحاق هو مدلس وقد عنعنه.

(٥) حسن إلى عكرمة: وفي الإسناد إلى الحسن مبارك بن فضالة وهو مدلس، وقد ذكره الطبري (٢٩/ ١٤٣) في تفسيره.

واحدها نكل، وهو مـا منع الإنسان من الحـركة، وقيل: سـمى نكلا، لأنه ينكل به، قال الشـعبي: أترون أن الله تعالى جـعل الأنكال في أرجل أهل النار خشيـة أن يهربوا؟ لا والله! ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استفلتـه بهم [١].

وقال الكلبي: الأنكال: الأغلال [٢]، والأول أعرف في اللغة؛ ومنه قول الخنساء:

دعَاكَ فَقَطَّعَتْ أنْكَالُهُ وَقَدْ كُنَّ قَبْلَكَ لا تُقْطَعُ

وقيل: إنه أنواع العذاب الشديد؛ قاله مقاتل، وقد جاء أن النبي ﷺ قال: «إن الله يحب النكل على النكل» بالتحريك، قاله الجوهري، قيل: وما النكل ؟ قال: «الرجل القوي المجرب، على الفرس القوي المجرب» ذكره الماوردي[٣] قال: ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته، وكذلك الغل، وكل عذاب قوي فاشتد، والجـحيم: النار المؤججة، ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ أي: غير سائغ؛ يأخذ بالحلق، لا هو نازل ولا هو خارج، وهو الغـسلين والزقوم والضريع؛ قاله ابن عـباس [٤]، وعنه أيضا: إنه شوك يدخل الحلق، فلا ينزل ولا يخـرج، وقال الزجاج: أي: طعـامهم الضريع؛ كمـا قال: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] وهو شوك كالعوسج، وقال مجاهد: هو الزقوم، كما قال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان]، والمعنى واحـد، وقال حـمران بن أعين: قـرأ النبي ﷺ ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ فصعق [٥]، وقال خليد بن حسان: أمسى الحـسن عندنا صائما، فأتيته بطعام فـعرضت له هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا﴾ فقال: ارفع طعـامك، فلما كانت الثانيـة أتيته بطعـام فعرضت له هذه الآية، فـقال: ارفعوه، ومـثله في الثالثة؛ فـانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البـكاء فحدثهم، فجاؤوه فلم يزالوا به حتى شـرب شربة من سويق[٦]، والغصة: الشـجا، وهو ما ينشب في الحلق من عظم أو غيـره، وجمعها غـصص، والغَصَصُ بالفتح مصدر قولك: غَصصتَ يا رَجُل تَغَصُّ، فأنت غَاصٌ بالطعـام وغَصَّانٌ، وأغصصته أنا، والمنزل غاص بالقوم أي: ممتلئ بهم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ أي: تتحرك وتضطرب بمن عليها، وانتصب ﴿يَوْمَ﴾ على الظرف أي: ينكل بهم ويعذبون: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ﴾، وقيل: بنزع الخافض؛ يعني: هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض والجبـال، وقـيل: العـامل: ﴿ذَرْنِي﴾ أي: وذرني والمكذبين يوم ترجف الأرض والجبال، ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً﴾ أي: وتكون، والكثيب: الرمل المجتمع. قال حسان:

عَرَفْتُ دِيارَ زَيْنَبَ بالْكَثِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ في الْوَرَقِ الْقَشِيبِ

والمهيل: الذي يمر تحت الأرجل، قال الضحاك والكلبي: المهـيل: هو الذي إذا وطئته بالقدم زل

(١، ٢) الأثران عند الآلوسى (٢١/ ٣٨٢) في تفسيره روح المعانى ، وذكره الزمخشري (٧/ ١٧٠) في تفسيره .

(٣) ضعيف : ابن الأثير (٣/ ٤٤) في غريب الحديث

(٤) ضعيف الإسناد وهو حسن : الطبري (٢٩/ ١٤٣) في تفسـيره من طريق شبيب بن بشر هو صدوق يخطئ ،لكن أطمع أن يُحسّن حديثه في الآثار .

(٥) ضعيف جدًا إن لم يكن موضوعًا :الطبري (٢٩/ ١٤٣) في تفسيره مرسلاً ،عن جمران بن أعين وهو ضعيف .

(٦) انظر: تفسير الحسن البصري (٢/ ٣٧٢) .

من تحتهـا، وإذا أخذت أسفله انهال، وقـال ابن عباس﴿مَّهِيلاً﴾ أي: رملا سائلا متناثرا [١] ،وأصله مهيـول وهو مفعول من قـولك: هِلْتَ عليه التراب أَهِيلُهُ هَيْـلا: إذا صببتـه، يقال: مهيل ومـهيول، ومكِيل ومكْيول، ومَدين ومَدْيون، ومَعين ومَعْيون؛ قال الشاعر:

قد كان قَوْمُك يَحْسَبونَكَ سَيِّداً وإخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ

وفي حديث النبي ﷺ أنهم شكوا إليـه الجدوبة[٢]؛ فقال: «أتكيلون أم تهـيلون» قالوا: نهيل، قال: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه» [٣]،وأهلت الدقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل، وإنما حذفت الواو،لأن الياء تثقل فيها الضمة، فحذفت فسكنت هي والواو فحذفت الواو لالتقاء الساكنين.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾

قوله تـعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً﴾ يريد النبي ﷺ أرسله إلى قـريش ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ وهو موسى ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أي: كذب به ولـم يؤمن، قال مـقاتل: ذكر مـوسى وفرعـون؛ لأن أهل مكة ازدروا محمـدا ﷺ واستخـفوا به؛ لأنه ولد فيـهم، كما أن فـرعون ازدرى موسى؛ لأنه رباه ونشأ فيما بينهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾ [الشعراء:١٨].

قال المهدوي: ودخلت الألف واللام في الرسول لتقدم ذكره؛ ولذلك اختير في أول الكتب سلام عليكم، وفي آخرها : السلام عليكم، ﴿وَبِيلاً﴾ أي: ثقيلا شديدا، وضرب وبيل وعذاب وبيل: أي: شديد؛ قاله ابن عباس ومجاهد [٤]، ومنه مطر وابل أي: شديد؛ قاله الأخفش، وقال الزجاج: أي: ثقيلا غليظا.

ومنه قيل للمطر وابل، وقيل: مهلكا قال:

أَكَلْتِ بَنِيك أَكْلَ الضَّبِّ حتى وجَدْتِ مَرَارَةَ الْكَلأِ الْوَبِيلِ

واستوبل فلان كذا: أي: لم يحـمد عاقبته، وماء وبيل: أي: وخيم غير مـريء، وكلأ مستوبل وطعام وبيل ومستوبل: إذا لم يمرئ ولم يستمرأ، قال زهير:

فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثم أَصْدَرُوا إِلَى كَلأٍ مُسْتَوْبَلٍ مُتَوَخَّمِ

وقالت الخنساء:

لَقَدْ أَكَلَتْ بَجِيلَةُ يومَ لاَقَتْ فَوَارِسَ مَالك أَكْلاً وَبِيلاً

---

(١) ضعيف : الطبري (٢٩/ ١٤٤) في تفسيره من طريقين منقطعين : عن علي بن أبي طلحة ومن طريق العوفيين

(٢) الجَدُوبةُ: القحط، وغلاء السعر. النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٤٣) لابن الأثير. .

(٣) الجزء الأخير من الحديث صحيح : رواه البخاري (٢١٢٨) في البيوع عن المقدام بن معدي كرب ، وقد ذكره ابن الأثير كاملاً في النهاية (٥/ ٢٨٧) بدون سند .

(٤) منقطع بين علي بن أبي طلحة، وابن عباس ـ رضي الله عنهما، وصحيح إلى مجاهد : انظر: الطبري (٢٩/ ١٤٥) في تفسيره .

والوبيل أيضا: العصا الضخمة؛ قال:

لوَ أصْبَحَ في يُمْنى يَدَيَّ زِمامُها وفي كَفِّيَ الأُخْرى وَبِيلٌ تُحاذِرُهْ

وكذلك الموبل بكسر الباء، والموبل أيضا: الحزمة من الحطب، وكذلك الوبيل، قال طرفة:

عَقِيلَةُ شَيْخٍ كالوَبِيلِ يَلَنْدَدِ [١]

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ هو توبيخ وتقريع، أي: كيف تتقون العذاب إن كفرتم، وفيه تقديم وتأخير، أي: كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم، وكذا قراءة عبد الله وعطية.

قال الحسن: أي: بأي صلاة تتقون العذاب؟ بأي صوم تتقون العذاب.[٢] ؟وفيه إضمار، أي: كيف تتقون عذاب يوم، وقال قتادة: والله ما يتقى من كفر بالله ذلك اليوم بشيء[٣]، و﴿يَوْمًا﴾ مفعول بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾ على هذه القراءة وليس بظرف، وإن قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول ﴿كَفَرْتُمْ﴾، وقال بعض المفسرين: وقف التمام على قوله: ﴿كَفَرْتُمْ﴾، والابتداء ﴿يَوْمًا﴾ يذهب إلى أن اليوم مفعول ﴿يَجْعَلُ﴾ والفعل لله عز وجل، وكأنه قال: يجعل الله الولدان شيبا في يوم، قال ابن الأنباري: وهذا لا يصلح؛ لأن اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله. المهدوي: والضمير في ﴿يَجْعَلُ﴾ يجوز أن يكون لله عز وجل، ويجوز أن يكون لليوم، وإذا كان لليوم صلح أن يكون صفة له، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عز وجل إلا مع تقدير حذف؛ كأنه قال: يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا، ابن الأنباري: ومنهم من نصب اليوم بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ وهذا قبيح؛ لأن اليوم إذا علق بـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾ احتاج إلى صفة؛ أي كفرتم بيوم، فإن احتج محتج بأن الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها، احتججنا عليه بقراءة عبد الله «فكيف تتقون يوما».

قلت: هذه القراءة ليست متواترة، وإنما جاءت على وجه التفسير، وإذا كان الكفر بمعنى الجحود فـ ﴿يَوْمًا﴾ مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها؛ أي: فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء، وقرأ أبو السمال قعنب «فكَيْف تتْقون» بكسر النون على الإضافة[٤]، و﴿الْوِلْدَانَ﴾ الصبيان، وقال السدي: هم أولاد الزنا [٥]، وقيل: أولاد المشركين، والعموم أصح؛ أي: يشيب فيه الصغير من غير كبر، وذلك حين يقال لآدم: «يا آدم قم فابعث بعث النار» [٦]، على ما تقدم في أول سورة الحج، قال القشيري: ثم إن أهل الجنة يغير الله أحوالهم وأوصافهم على ما يريد.

وقيل: هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز؛ لأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان، ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة، ويقال: هذا وقت

(١) هذا عجز بيت، وصدره: فَمرتْ لَهاةٌ ذات خيفٍ جَلالة

(٢) انظر: تفسير الحسن البصري (٢/ ٣٧٢).

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩/ ١٤٥) فى تفسيره.

(٤) قراءة متواترة: كما فى تقريب النشر (ص١٨٤).

(٥) هذا تفسير بعيد وهو مخالف للنص التالى، والسدى ضعيف.

(٦) متفق عليه: قطعة من حديث البخاري (٣٣٤٨) في أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢/ ٣٧٩) في الإيمان، عن أبي سعيد الخدرى ـ رضي الله عنه.

الفزع، وقبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق، فالله أعلم، الزمخشري: وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب، فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة (١)، فقال: أريت القيامة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون، ويجوز أن يوصف اليوم بالطول، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب.

قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ أي: متشققة لشدته، ومعنى ﴿بِهِ﴾ أي: فيه؛ أي: في ذلك اليوم لهوله، هذا أحسن ما قيل فيه، ويقال: مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه، كقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقيل ﴿بِهِ﴾ أي: له، أي لذلك اليوم؛ يقال: فعلت كذا بحرمتك ولحرمتك، والباء واللام متقاربة في مثل هذا الموضع؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] أي: في يوم القيامة، وقيل ﴿بِهِ﴾ أي: بالأمر أي: السماء منفطر بما يجعل الولدان شيبا، وقيل: منفطر بالله، أي بأمره، وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل منفطرة؛ لأن مجازها السقف؛ تقول: هذا سماء البيت؛ قال الشاعر:

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءُ إِلَيْهِ قوماً لَحِقْنا بالسَّماءِ وبالسَّحاب

وفي التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وقال الفراء: السماء يذكر ويؤنث، وقال أبو علي: هو من باب الجراد المنتشر، والشجر الأخضر، و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وقال أبو علي أيضا: أي السماء ذات انفطار؛ كقولهم: امرأة مرضع، أي: ذات إرضاع، فجرى على طريق النسب، ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ أي بالقيامة والحساب والجزاء ﴿مَفْعُولًا﴾ كائنا لا شك فيه ولا خلف، وقال مقاتل: كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ يريد هذه السورة أو الآيات عظة، وقيل: آيات القرآن، إذ هو كالسورة الواحدة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ أي: من أراد أن يؤمن ويتخذ بذلك إلى ربه ﴿سَبِيلًا﴾ أي: طريقا إلى رضاه ورحمته فليرغب، فقد أمكن له؛ لأنه أظهر له الحجج والدلائل، ثم قيل: نسخت بآية السيف، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [المدثر: ٥٥]. قال الثعلبي: والأشبه أنه غير منسوخ،

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾

فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ هذه الآية تفسير لقوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾

(١) الثغامة: نبت أبيض الثمر والزهر يشبه بياض الشيب به اللسان «ثغم».

نَصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل] كما تقدم، وهي الناسخة لفرضية قيام الليل كما تقدم، ﴿تَقُومُ﴾ معناه: تصلي و﴿أَدْنَىٰ﴾ أي: أقل، وقرأ ابن السميقع وأبو حيوة وهشام عن أهل الشام «ثُلْثي» بإسكان اللام [١]، «ونِصْفِهِ وثُلُثِهِ» بالخفض [٢] قراءة العامة عطفا على ﴿ثُلُثَيِ﴾؛ المعنى: تقوم أدنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ فكيف يقومون نصفه أو ثلثه وهم لا يحصونه؟ وقرأ ابن كثير والكوفيون: ﴿وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ بالنصب عطفا على ﴿أَدْنَىٰ﴾ التقدير: تقوم أدنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه. قال الفراء: وهو أشبه بالصواب؛ لأنه قال أقل من الثلثين، ثم ذكر نفس القلة لا أقل من القلة، قال القشيري: وعلى هذه القراءة يحتمل أنهم كانوا يصيبون الثلث والنصف؛ لخفة القيام عليهم بذلك القدر، وكانوا يزيدون، وفي الزيادة إصابة المقصود، فأما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه، وينقصون منه، ويحتمل أنهم أمروا بقيام نصف الليل، ورخص لهم في الزيادة والنقصان، فكانوا ينتهون في الزيادة إلى قريب من الثلثين، وفي النصف إلى الثلث، ويحتمل أنهم قدر لهم النصف وأنقص إلى الثلث، والزيادة إلى الثلثين، وكان فيهم من يفي بذلك، وفيهم من يترك ذلك إلى أن نسخ عنهم، وقال قوم: إنما افترض الله عليهم الربع، وكانوا ينقصون من الربع، وهذا القول تحكم.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها، وأنتم تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ، ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك والقيام به، وقيل: أي: لن تطيقوا قيام الليل، والأول أصح؛ فإن قيام الليل ما فرض كله قط، قال مقاتل وغيره: لما نزلت: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل] شق ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ، فانتفخت أقدامهم، وانتقعت ألوانهم، فرحمهم الله وخفف عنهم؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ و﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي علم أنكم لن تحصوه؛ لأنكم إن زدتم ثقل عليكم، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضا، وإن نقصتم شق ذلك عليكم [٣].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي فعاد عليكم بالعفو، وهذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به، وقيل: أي فتاب عليكم من فرض القيام إذ عجزتم، وأصل التوبة الرجوع كما تقدم؛ فالمعنى رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف، ومن عسر إلى يسر، وإنما أمروا بحفظ الأوقات على طريق التحري، فخفف عنهم ذلك التحري، وقيل: معنى: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يخلقهما مقدرين؛ كقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ابن العربي [٤]: تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم، وإنما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن المراد نفس القراءة؛

(١، ٢) قراءتان متواترتان: كما في تقريب النشر (ص١٨٤).

(٣) وهو قول قتادة بسند صحيح إليه، كما عند الطبري (٢٩/ ١٤٩) في تفسيره على إرسال فيه.

(٤) أحكام القرآن (٤/ ١٨٨١) لابن العربي المالكي.

أي: فاقرؤوا فيما تصلونه بالليل ما خف عليكم، قال السدي: مائة آية [١]. الحسن: من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن [٢]، وقال كعب: من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين [٣]، وقال سعيد: خمسون آية.

قلت: قول كعب أصح؛ لقول عليه السلام: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» [٤] خرجه أبو داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب والحمد لله، القول الثاني: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: فصلوا ما تيسر عليكم، والصلاة تسمى قرآنا؛ كقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر، ابن العربي[٥]: وهو الأصح؛ لأنه عن الصلاة أخبر، وإليها يرجع القول.

قلت: الأول أصح حملا للخطاب على ظاهر اللفظ، والقول الثاني مجاز؛ فإنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله.

الخامسة: قال بعض العلماء: قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ نسخ قيام الليل ونصفه، والنقصان من النصف والزيادة عليه، ثم احتمل قول الله عز وجل: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ معنيين أحدهما أن يكون فرضا ثانيا؛ لأنه أزيل به فرض غيره، والآخر أن يكون فرضا منسوخا أزيل بغيره كما أزيل به غيره؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] فاحتمل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] أي: يتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه، قال الشافعي: فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنة رسول الله ﷺ تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس.

السادسة: قال القشيري أبو نصر: والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة، وبقيت الفريضة في حق النبي ﷺ، وقيل: نسخ التقدير بمقدار، وبقي أصل الوجوب؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] فالهدي لا بد منه، كذلك لم يكن بدٌ من صلاة الليل، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصلي، وعلى هذا فقد قال قوم: فرض قيام الليل بالقليل باق؛ وهو مذهب الحسن، وقال قوم: نسخ بالكلية، فلا تجب صلاة الليل أصلا؛ وهو مذهب الشافعي، ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي ﷺ هي هذا، وهو قيامه، ومقداره مفوض إلى خيرته، وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا فقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ معناه اقرؤوا إن تيسر عليكم ذلك، وصلوا إن شئتم، وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرر في حق النبي ﷺ أيضا، فما كانت صلاة الليل واجبة عليه، وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] محمول على حقيقة النفل، ومن قال: نسخ المقدار وبقي أصل

---

(١) حسن إلى السدى: الطبري (٢٩/ ١٤٩) في تفسيره.

(٢) رواه الطبري (٢٩/ ١٤٩) في تفسيره.

(٣) ضعيف: ورواه الأعمش، عن أبي صالح، وأبو صالح ضعيف. الطبري (٢٩/ ١٤٩) في تفسيره.

(٤) صحيح: ورواه أبو داود وابن حبان، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في صحيح الجامع.

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٨٨١) لابن العربي المالكي.

وجوب قيام الليل ثم نسخ، فـهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصـلاة؛ كقوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، ما في الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوع، وقـيل: وقع النسخ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩] والخطاب للنبي ﷺ وللأمة، كما أن فرضية الصلاة وإن خوطب بها النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ﴾ [المزمل] كانت عامة له ولغيره، وقد قيل: إن فريضة الله امتدت إلى ما بعـد الهجرة، ونسخت بالمدينة؛ لقـوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وإنما فرض القـتال بالمدينة؛ فـعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة، فقيام الليل نسخ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ نسـخ قول الله تعـالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ وجوب صلاة الليل (١).

السابعة: قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ الآية؛ بيَّن سبحانه علة تخـفيف قيام الليل، فإن الخلـق منهم المريض، ويشق عليهم قـيام الليل، ويشق علـيهم أن تفوتـهم الصلاة، والمسـافر في التجارات قد لا يطيق قيـام الليل، والمجاهد كذلك، فخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء، و﴿أَن﴾ في ﴿أَن سَيَكُونُ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: علم أنه سيكون.

الثامنة: سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتـسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله، والإحسان والإفضال، فـكان هذا دليلا على أن كسب المال بمنزلة الجهاد؛ لأنه جمعه مع الجهـاد في سبيل الله، وروى إبراهيم عـن علقمة قـال: قال رسول الله ﷺ: «مـا من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيـبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منـزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢) وقال ابن مسعود: أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مـدائن المسلمين صابرا محتسبا، فباعـه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء، وقرأ: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية (٣)، وقال ابن عمر: ما خلق الله موتة أموتها بعد المـوت في سبيـل الله أحب إلي من الموت بين شعـبتي رحلي، ابتـغى من فضل الله ضـاربا في الأرض (٤)، وقال طاوس: السـاعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سـبيل الله (٥)، وعن بعض السلف أنه كان بواسط، فـجهز سـفينة حنطة إلى البصـرة، وكتب إلى وكيلـه: بع الطعام يوم تدخل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) ضعيف جدًا: رواه ابن مردويه في التـفسير، عن ابن مسعود ـ لا مرسلاً كمـا تراه ـ وضعفه العراقي (٢/ ٧٤) في تخريج الإحياء، وانظر: الدر المنثور (٦/ ٤٤٩) للسيوطي وسكت عنه.

(٣) منقطع: البـغوي (٨/ ٢٥٨) في تفـسيـره من طريق إبراهيم عن ابن مـسعـود، ورواه الرازي (١٦/ ١٢٦) في تفسيره.

(٤) في إسناده نظر: البيهقي (٢/ ٩٣) في الشعب، ومعـمر بن راشد (١١/ ٤٦٤) في الجامع وفيه شك الراوي هل هو عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر أو غيـره، وعبيد الله ثقة، والله أعلم، وعزاه السيوطي (٦/ ٤٤٩) في الدر لابن مردويه وسعيد بن منصور.

(٥) متفق عليه: البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢/ ٤١) في الزهد والرقائق.

البصرة، ولا تؤخره إلى غد، فوافق سعة في السعر؛ فقال التجار للوكيل: إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه، فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، فكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا! إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة، وليتني أنجو من الاحتكار كفافا لا علي ولا لي، ويروى أن غلاما من أهل مكة كان ملازما للمسجد، فافتقده ابن عمر، فمشى إلى بيته، فقالت أمه: هو على طعام له يبيعه؛ فلقيه فقال له: يا بني! ما لك وللطعام؟ فهلا إبلا، فهلا بقرا، فهلا غنما! إن صاحب الطعام يحب المحل، وصاحب الماشية يحب الغيث،

التاسعة: قوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ أي: صلوا ما أمكن؛ فأوجب الله من صلاة الليل ما تيسر، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدم، قال ابن العربي [١] وقد قال قوم: إن فرض قيام الليل سن في ركعتين من هذه الآية؛ قاله البخاري وغيره، وعقد بابا ذكر فيه حديث: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله أنحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى أنحلت عقده كلها، فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان» [٢] وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في الرؤيا قال: «أما الذي يثلغ رأسه بالحجر فإنه يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة» [٣]، وحديث عبد الله بن مسعود قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل ينام الليل كله فقال: «ذلك رجل بال الشيطان في أذنيه» [٤] فقال ابن العربي [٥]: فهذه أحاديث مقتضية حمل مطلق الصلاة على المكتوبة؛ فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله له، وتسقط الدعوى ممن عينه لقيام الليل، وفي الصحيح واللفظ للبخاري: قال عبد الله بن عمرو: وقال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل» [٦] ولو كان فرضا ما أقره النبي ﷺ عليه، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه، بل كان يذمه غاية الذم، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على النبي ﷺ، وكنت غلاما شابا عزبا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: ولقينا ملك آخر، فقال لي: لم تُرَع، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول

---

(١) أحكام القرآن (٤/ ١٨٨٢) لابن العربي المالكي.

(٢) متفق عليه: البخاري (٣٢٦٩) في بدء الخلق، ومسلم (٧٧٦/ ٢٠٧) في صلاة المسافرين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

(٣) صحيح: البخاري (٧٠٤٧) في التعبير ضمن حديث طويل، ويثلغ: الثلغ: الشدخ وهو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينكسر، النهاية (١/ ٢٢٠).

(٤) متفق عليه: البخاري (١١٤٤) في التهجد، ومسلم (٧٧٤/ ٢٠٥) في صلاة المسافرين.

(٥) أحكام القرآن (٤/ ١٨٨٢) لابن العربي المالكي.

(٦) متفق عليه: البخاري (١١٥٢) في التهجد، ومسلم (١١٥٩/ ١٨١ ـ ١٩٣) في الصيام، عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما.

الله ﷺ، فقال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» [١] ، فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلا؛ فلو كان ترك القيام معصية لما قال له الملك: لم ترع، والله أعلم.

العاشرة: إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض، وأن قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فاختلف العلماء في قدر ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة؛ فقال مالك والشافعي: فاتحة الكتاب لا يجزئ العدول عنها، ولا الاقتصار على بعضها، وقدره أبو حنيفة بآية واحدة من أي القرآن كانت، وعنه ثلاث آيات؛ لأنها أقل سورة، ذكر القول الأول الماوردي والثاني ابن العربي، والصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعي، على ما بيناه في سورة «الفاتحة» أول الكتاب والحمد لله، وقيل: إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة؛ قال الماوردي: فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولا على الوجوب، أو على الاستحباب دون الوجوب، وهذا قول الأكثرين؛ لأنه لو وجب عليه أن يقرأه لوجب عليه أن يحفظه. الثاني: أنه محمول على الوجوب؛ ليقف بقراءته على إعجازه، وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه؛ لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة، وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال: أحدها جميع القرآن؛ لأن الله تعالى يسره على عباده؛ قاله الضحاك [٢]، الثاني ثلث القرآن؛ حكاه جويبر [٣]، الثالث مائتا آية؛ قاله السدي [٤]، الرابع: مائة آية؛ قاله ابن عباس [٥]. الخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة؛ قاله أبو خالد الكناني.

الحادية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة في أموالكم؛ قاله عكرمة وقتادة [٦]، وقال الحارث العكلي: صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك، وقيل: صدقة التطوع، وقيل: كل أفعال الخير.

وقال ابن عباس: طاعة الله والإخلاص له.

الثانية عشرة: قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب، وقد مضى في سورة «الحديد» بيانه [٧]، وقال زيد بن أسلم: القرض الحسن النفقة على الأهل، وقال عمر بن الخطاب: هو النفقة في سبيل الله [٨].

الثالثة عشرة: قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، تقدم في سورة «البقرة» وروي عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيسا - يعني تمرا بلبن - فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه، فقال بعضهم: ما يدري هذا المسكين ما هذا؟ فقال عمر: لكن رب المسكين يدري ما هو [٩]، فكأنه تأول ﴿وَمَا

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٢١) في التهجد، ومسلم (٢٤٧٩) في فضائل الصحابة، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما.

(٢ - ٥) انظر: النكت والعيون (٦/ ١٣٣) للماوردي، وأحكام القرآن (٤/ ١٨٨٣) لابن العربي المالكي - رحمه الله.

(٦) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٩/ ١٥٠) في تفسيره.

(٧) عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(٨، ٩) رواية ابن زيد كما عند الطبري (٢٩/ ١٥٠) في تفسيره، وانظر: الهامش السابق، وقول عمر عند السمرقندي (٤/ ٣٤٢) بصيغة التمريض (وروى).

﴿تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ أي: مما تركتم وخلفتم، ومن الشح والتقصير، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ قال أبو هريرة: الجنة؛ ويحتمل أن يكون أعظم أجـرا؛ لإعطائه بالحسنة عشرا، ونصب ﴿خَيْرًا وَأَعْظَمَ﴾ على المفعول الثاني: لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾ و﴿هُوَ﴾: فصلٌ عند البصريين، وعماد في قول الكوفيين، لا محل له من الإعراب، و﴿أَجْرًا﴾ تمييز، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ أي: سلوه المغفرة لذنوبكم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لما كان قبل التوبة ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم بعدها؛ قاله سعيد بن جبير [1].

ختمت السورة.

---

(١) انظر الهامش السابق.